طبع على نفقة مؤسسة السيد

مجيد الماجد وأولاده

مملكة البحرين ١٤٢٨هـ ق

توزيع: مؤسسة المرتضى

ثقافية ـ اجتماعية

الهاتف: ١٧٢٥٩٥١٥ ـ ٠٠٩٧٣١٧٢٣٠٢٣٢

الفاكس: ٠٠٩٧٣١٧٢٥٤٦٩٠

ص.ب: ١٩٢١ المنامة ـ البحرين

الإمام الحسين سلام الله عليه

جوهرة التاريخ الفريدة

من محاضرات

سماحة آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

اعداد

مؤسسة الرسول الأكرم الثقافية

الإمام الحسين سلام الله عليه جوهرة التاريخ الفريدة

سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

قرّرها: .....عبد الرضا افتخاري

تنضيد وإخراج: ..... علي شيخ حائري

الناشر: .....ياس الزهراء (س)

المطبعة: .....سيماي كوثر

الطبعة: .....الأولى

سنة الطبع: .....١٤٢٨ هـ ق

عدد النسخ: ١٠٠٠٠

ردمك: ٦ـ٣٣ـ٢٨٤٣ـ٩٦٤ـ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين *.

عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بالحسين سلام الله عليه وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهديّ من آل محمد صلّى الله عليه وعليهم أجمعين.

يمرّ على مقتل الإمام الحسين سلام الله عليه أكثر من ثلاثة عشر قرناً ولما يؤخذ بثاره. وإنّ وليّ دم الإمام الحسين سلام الله عليه هو حفيده المعظّم الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

(*) نصّ كلمة سماحته في جموع المعزّين في ليلة الحادي عشر من المحرم عام ١٤٢٦ هـ.

لقد ذرفت دموع غزيرة وأريقت دماء كثيرة خلال هذه القرون من أجل الإمام الحسين سلام الله عليه، وتزداد مجالس العزاء التي تقام في كلّ أرجاء المعمورة على مصابه سلام الله عليه كلّ عام، ولكنّ أيّاً من هذه الأمور لا تسدّ مسدّ الثأر لدم الإمام الحسين سلام الله عليه الذي سفك بغير حقّ.

أجل، إنّ ثأر الإمام الحسين سلام الله عليه والانتقام لدمه الطاهر لم يحصل بعد، ولهذا أمرنا الإمام المعصوم سلام الله عليه أن يُواسي ويعزّي بعضنا الآخر بمصيبة استشهاده سلام الله عليه في عاشوراء هكذا؛ وبهذه العبارات:

«عظّم الله أجورنا وأجوركم بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهديّ من آل محمد صلّى الله عليه وعليهم أجمعين».

عظمة مصاب الإمام سلام الله عليه

لقد عانى أهل البيت سلام الله عليهم كلّهم وضحّوا في سبيل الله تعالى واستشهدوا جميعاً، وفيهم من هو أفضل من الإمام الحسين سلام الله عليه كجدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وأبيه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه وأمّه فاطمة الزهراء سلام الله عليها وأخيه الإمام الحسن المجتبى سلام الله عليه، وكان استشهادهم فاجعة كبرى للإسلام والمسلمين، ولكن شاء الله تعالى أن يكون المصاب بالإمام الحسين سلام الله عليه استثنائياً، فلم يكن مصابه كسائر المصائب، ولقد قال الإمام الحسن سلام الله عليه مخاطباً أخاه الإمام الحسين سلام الله عليه:

لا يوم كيومك يا أبا عبد الله.[1]

فلم يصب بالإمام الحسين سلام الله عليه المسلمون

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢١٨.

وحدهم بل أصيب العالمين جميعاً، والملائكة وأهل السماوات وبكته الحور العين، بل بكاه الأنبياء عليهم السلام، وبكاه جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وأبوه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه وأقاموا المجالس عليه عندما مرّوا بمكان استشهاده قبل أن يولد سلام الله عليه، كما بكوه بعد استشهاده.

أوّل ناعٍ وقارئ مرثية للإمام الحسين سلام الله عليه

إن أوّل مأتم أقيم على الإمام الحسين سلام الله عليه كان في الجنان.

أمّا أوّل من قرأ التعزية على الأرض للإمام الحسين سلام الله عليه فكان ملاك الوحي جبرئيل عليه السلام، قرأ تعزية الإمام الحسين سلام الله عليه لآدم أبي البشر عليه السلام.

«روى صاحب الدر الثمين في تفسير قوله تعالى فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ أنّه رأى

ساقَ العرش وأسماءَ النبي صلّى الله عليه وآله والأئمة سلام الله عليهم فلقّنه جبرئيل؛ قل: يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلما ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي. قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب. فقال: يا أخي وما هي؟ قال يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول وا عطشاه وا قلّة ناصراه حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان

فلم يجبه أحد إلاّ بالسيوف وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحلَه أعداؤه وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنّان. فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى»[1]

فهذا أوّل مأتم أقيم على أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه في الأرض وكان الناعي وقارئ التعزية فيه جبرئيل، ولقد أبكى بما قرأ آدم أبا البشر وبكى هو أيضاً مع أنّه ليس كالبشر في عواطفهم.

ولم نسمع مثل هذه الروايات بشأن سائر أصحاب الكساء سلام الله عليهم مع أنّهم كلّهم مظلومون واستشهدوا جميعاً في سبيل الله تعالى.

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٤٥.

فنحن لا نستطيع أن ندرك عظمة مظلومية رسول الله صلّى الله عليه وآله في هذا العالم، ولا يتيسّر لنا ذلك إلاّ في عالم الآخرة حيث سيكشف لنا الستار قليلاً عن مصائبه صلّى الله عليه وآله. وهكذا الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه فهو أوّل مظلوم بعد رحيل رسول الله صلّى الله عليه وآله، ففي زيارته نخاطبه قائلين:

«السلام عليك يا وليّ الله، أنت أوّل مظلوم وأوّل من غُصب حقّه»[1].

ولقد كانت الصديقة الزهراء سلام الله عليها الجوهرة التي قال الله تعالى في حقّها مخاطباً أباها رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«لولا فاطمة لما خلقتكما».

وقد تحمّلت من المصائب والأذى الشيء الكثير

(١) الكافي: ج٤، ص٥٦٩.

في سبيل الدفاع عن حريم الرسالة والولاية وهداية الأمّة حتى قضت سلام الله عليها شهيدة.

وهكذا الإمام الحسن سلام الله عليه، فقد تحمّل هو الآخر ما تحمّل، وإننا عاجزون عن درك مظلوميته سلام الله عليه، وما ندركه من مظلومية أصحاب الكساء وأهل البيت سلام الله عليهم عموماً قليل جداً.

ولكن مع أنّهم سلام الله عليهم جميعاً عاشوا مظلومين واستشهدوا مظلومين، ولكن لم يرد في الروايات أنّ آدم أبا البشر وجبرئيل عليهما السلام بكيا على مصابهم قبل وقوعها بآلاف سنين وبالنحو الذي وُصف، إلا ما كان من بكائهما على الإمام الحسين سلام الله عليه لما سيحلّ به في كربلاء.

التعامل الاستثنائي لأهل البيت عليهم السلام مع قضية كربلاء

لقد تعامل أهل البيت سلام الله عليهم مع حادثة عاشوراء بطريقة استثنائية، وفاق تأثّرهم بهذه المصيبة الأليمة تأثّرهم بمصاب المعصومين الآخرين، فعلى سبيل المثال روي عن كثرة وشدّة بكاء الإمام زين العابدين سلام الله عليه في مصيبة أبيه الإمام الحسين سلام الله عليه ما تقشعرّ منه الأبدان، فقد رووا أنّه:

«بكى عليّ بن الحسين سلام الله عليه عشرين سنة وما وُضع بين يديه طعام إلاّ بكى، حتى قال له مولى له: جُعلت فداك يا ابن رسول الله إنّي أخاف أن تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ. قالَ: إِنَّما أَشْكُوا بَثّي وحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ. إني

لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني العبرة.

وفي رواية، قيل له: أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال سلام الله عليه:

ويحك إنّ يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً فغيّب الله واحداً منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه واحدودب ظهره من الغمّ وكان ابنه حيّاً في الدنيا، وأنا نظرتُ إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني»[1]

وقد كان الإمام السجاد سلام الله عليه عالماً بما جرى

(١) بحار الأنوار: ج٤٦، ص١٠٨، باب حزن الإمام السجاد سلام الله عليه وبكائه على شهادة أبيه الإمام الحسين صلوات الله عليهما.

على جدّته الزهراء سلام الله عليها وبكاها، ولكن ليس كبكائه على مصاب أبيه الإمام الحسين سلام الله عليه.

أمّا الإمام الرضا سلام الله عليه فيقول في مصائب جدّه الإمام الحسين سلام الله عليه:

«إنّ يوم الحسين سلام الله عليه أقرح جفوننا وأسبل دموعنا»[1]

والعجيب أنّ الإمام الرضا سلام الله عليه لم يستعمل لفظة الجرح وعدل عنها إلى القرح، وهو الجرح الذي يكون داخل بدن الإنسان أي في العمق وليس على السطح، وعادة ما تحدث القروح في داخل بدن الإنسان على أثر تحمّل الآلام النفسية الكثيرة، فاستعمال الإمام سلام الله عليه لهذه الكلمة يوحي بشدّة المصاب وكثرة البكاء لدرجة حصول تقرّحات في العين.

(١) المصدر نفسه: ج٤٤، ص٢٨٣.

الجدير ذكره أنّه سلام الله عليه مرّ بمصائب كثيرة، وكذلك أبوه الإمام موسى بن جعفر سلام الله عليه الذي تحمّل سجون هارون العباسي، وهكذا جدّه الإمام الصادق سلام الله عليه الذي حبسه الأعداء أيضاً ونفوه وصادروا أمواله وأحرقوا داره، وكذا جدّه الإمام الباقر سلام الله عليه فقد عانى ما عانى حتّى اتّهمه بنو أميّة بالكفر وقالوا عنه إنه نصرانيّ ...

فقد كان الإمام الرضا سلام الله عليه عالماً بكلّ ما جرى عليه وعلى أجداده الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين جميعاً ولكنه لم يطلق هذه العبارة إلاّ بخصوص المصاب الذي حلّ بالإمام الحسين سلام الله عليه في كربلاء.

بل إنّ الكلمات التي استعملها أهل البيت سلام الله عليهم في تعظيم عاشوراء والتعبير عن مصاب سيد الشهداء سلام الله عليه تختلف أساساً عن تعابيرهم الأخرى، فهي تعابير خاصّة، تختلف عن غيرها كثيراً.

فالإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف يخاطب جدّه الإمام الحسين سلام الله عليه في زيارة الناحية المقدّسة بقوله:

«ولأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»[1]

فلم نسمع بمثل هذه العبارة عن الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف في أيّ من الأئمة الآخرين سلام الله عليهم ولا في أمّه الزهراء سلام الله عليها.

عالمية عاشوراء

من الخصائص الأخرى التي امتازت بها قضية الإمام الحسين سلام الله عليه، أنّها تزداد انتشاراً كلّ يوم وتصبح أكثر عالمية وتكسب المزيد من قلوب العالمين.

(١) بحار الأنوار: ج٩٨، ص٣٢٠.

ولئن حاول الطغاة في أيّ عصر ـ مثل رضا خان أو أتا تورك أو ياسين الهاشمي ـ الوقوف في وجه عاشوراء والشعائر الحسينية فإنّ نهايتهم كانت في هذا العمل، وازدادت الشعائر ألقاً وانتشاراً.

أجل كلّما حاول الطغاة والعملاء إطفاء شعلة الإمام الحسين سلام الله عليه وذكراه، فإنّ أسماءهم ستزداد طمساً واختفاءً وسيزداد ذكر الحسين سلام الله عليه علوّاً وارتفاعاً، بل إنّ من خصائص القضية الحسينية أنها تزداد رسوخاً وتجذّراً وقوّةً وانتشاراً كلّما حاول الظالمون طمسها أو قمعها، وستزداد تغلغلاً في قلوب الناس في كلّ مكان.

لقد جاء إليّ أشخاص مراراً وأخبروني أنّ مواكب العزاء هذا العام كانت أفضل من الأعوام السابقة كمّاً ونوعاً، وكانت المشاركة الجماهيرية فيها أعظم والاستقبال والترحيب أوسع وأكثر.

فماذا غيّر ما قامت به حكومة رضا خان البهلوي من تعذيب وإيذاء ومحاربة لأهل المواكب والهيئات الحسينية؟ إنّها لم تزدها إلاّ توسّعاً وانتشاراً حتى صرنا نشهد اليوم أتباع ومحبّي أهل البيت سلام الله عليهم الذين انتشروا في كلّ بقاع العالم ـ مجبورين أو مختارين ـ يخرجون إلى الشوارع في العاشر من محرم كلّ عام، ويحيون ذكرى الإمام الحسين سلام الله عليه، فقد نصبوا له خيمة في كلّ بقعة وصقع وأوصلوا صوته سلام الله عليه وصدى مظلوميته إلى أبعد نقطة في العالم، وقرعوا بها أسماع القوى المستكبرة، حيث أقاموا مجالس العزاء بالقرب من قصورهم. وما أكثر الذين اهتدوا إلى نور الإسلام ومذهب أهل البيت سلام الله عليهم بفضل وببركة اسم سيد الشهداء سلام الله عليه وهذه المجالس والشعائر.

بين الحجّ والذهاب إلى كربلاء

كما نعلم إنّ من شروط الحج الاستطاعة، ومن مصاديق الاستطاعة خلوّ الطريق من الخطر الذي يهدّد حياة الحاجّ، فإن قرن الحجّ بالخوف والخطر لم تحرز الاستطاعة. وليس في مجاميعنا الحديثية رواية توصي بالذهاب إلى الحجّ ولا إلى زيارة النبي صلّى الله عليه وآله أو الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أو أيّ من الأئمة سلام الله عليهم حتى من وجود الخطر الذي يهدّد حياة الحاجّ أو الزائر، بل عُدّ الحفاظ على النفس من الواجبات ومقدّماً على الحج والزيارة، إلاّ في زيارة أبي الأحرار الإمام الحسين سلام الله عليه فليس الأمر كذلك، بل رُغّب في زيارته حتّى مع وجود الخطر.

فقد كان لأبي حمزة الثمالي حفيد اسمه حسين، وهو من أصحاب الإمام الباقر سلام الله عليه، وقد عزم على

زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه ولم تكن الزيارة آنذاك ـ أواخر العصر الأموي ـ سهلة كما في أيامنا هذه، فكان الذهاب إلى كربلاء محفوفاً بالمخاطر الجسمية والروحية، وربّما كان المسافر لا يعود من سفرته حيّاً. وفي تلك الأيام لم يكن ثمة حرم ولا قبّة أو منارة على القبر الطاهر، ولا حتّى سقف يظلّله، بل كان قبراً ترابياً في قلب الصحراء، وليس له علامة ظاهرة تدلّ عليه ولم يكن مرتفعاً عن الأرض حتى بأربع أصابع. وما أكثر ما كان يعاني الشيعة لئلا يعفى أثره.

يقول حسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي، الذي تحرّك مستتراً عن أنظار الشاميين إلى كربلاء:

«خرجتُ في آخر زمان بني مروان إلى زيارة قبر الحسين سلام الله عليه مستخفياً من

أهل الشام حتى انتهيتُ إلى كربلاء فاختفيتُ في ناحية القرية حتى إذا ذهب من الليل نصفُه أقبلتُ نحو القبر. فلمّا دنوتُ منه أقبل نحوي رجل فقال لي: انصرف مأجوراً فإنّك لا تصل إليه. فرجعت فزعاً حتّى إذا كاد يطلع الفجر أقبلتُ نحوه، حتى إذا دنوتُ منه خرج إليّ الرجل فقال لي: يا هذا إنّك لا تصل إليه. فقلت له: عافاك الله ولِمَ لا أصل إليه وقد أقبلتُ من الكوفة أريد زيارته؟ فلا تحُلْ بيني وبينه عافاك الله وأنا أخاف إن أصبح فيقتلوني أهل الشام إن أدركوني هاهنا.

فقال لي: اصبر قليلا فإنّ موسى بن

عمران عليه السلام سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين بن علي فأذن له، فهبط من السماء في سبعين ألف ملك فهم بحضرته من أوّل الليل ينتظرون طلوع الفجر ثمّ يعرجون إلى السماء.

قال فقلت له: فمن أنت عافاك الله؟

قال: أنا من الملائكة الذين أُمروا بحرس قبر الحسين سلام الله عليه والاستغفار لزوّاره.

فانصرفت وقد كاد أن يطير عقلي لما سمعت منه.

قال: فأقبلتُ لمّا طلع الفجر نحوه فلم يحل بيني وبينه أحد، فدنوت من القبر وسلّمت عليه ودعوت الله على قتلته

وصلّيتُ الصبحَ وأقبلتُ مسرعاً مخافة أهل الشام»[1]

وكما في بعض المصادر التاريخية أن محبّي أهل البيت سلام الله عليهم كانوا يتّخذون بعض المواقع علامات ويحفظون عدد الأذرع أو الأقدام التي يخطونها إلى القبر الطاهر للإمام الحسين سلام الله عليه أو يلجأون إلى الأشخاص الذين وفّقوا للزيارة سابقاً فيرافقونهم أو يرشدونهم أو يستعينون بخارطة أو دليل مكتوب أو أدلاّء من أهل البلد كانوا يتقاضون أجوراً على قيامهم بهذا الدور، وربّ أشخاص كانوا يقومون بهذا العمل ولا يأخذون أموالاً من الزائر ويطلبون الأجر من سيد الشهداء سلام الله عليه نفسه. وربما اضطرّ القاصد للزيارة أن يقطع مسافات أو يذهب إلى بلد آخر قاصداً لدليل أو زائر تشرّف بالزيارة قبله.

(١) كامل الزيارات: ص١١١.

وعلى أية حال فقد كانت زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه في تلك الأيام مقرونة بالتعب والمشقّة والصعوبات. ولا شك أنّ الله تعالى سيعامل هؤلاء الزّوار معاملة استثنائية ويتفضّل عليهم بثواب خاصّ، لأنّه تعالى قد أخذ على نفسه أن يجازي كلّ من بذل في طريق الإمام الحسين سلام الله عليه مجازاة خاصّة وأن يتعامل مع الباذلين والمعزّين والمقيمين والمعظّمين للشعائر الحسينية بصورة استثنائية.

خدّام سيد الشهداء سلام الله عليه والأجر الاستثنائي

كان لي عمّ يسمّى السيد جعفر الشيرازي رحمه الله وهو جار للميرزا عبد الهادي الشيرازي رحمه الله وزميله في المباحثة، وقد دُفن في حرم السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام في طهران.

وقد كانت له كلّ يوم جلسة مباحثة في الفقه مع

الميرزا عبد الهادي يذهب كل يوم إلى منزله للمباحثة.

وفي إحدى الأيّام التي كان في بيت الميرزا عبد الهادي رحمه الله سأله الميرزا: هل أصبحت خطيباً حسينياً؟ قال: لا. فسأله: ألم تقرأ مجلساً للإمام الحسين سلام الله عليه في أيّ مكان؟ فأجاب السيد جعفر بالنفي. فقال الميرزا: لقد رأيت البارحة رؤيا فيك أظنّها صادقة؛ رأيتُ الإمام الحسين سلام الله عليه أمر أن يُكتب إسمك في قائمة خطباء المنبر الحسيني. فقال السيد جعفر: لقد قرأت البارحة لزوجتي وأطفالي ـ وكان عنده بنتان ـ بعض مصائب الإمام الحسين سلام الله عليه من كتاب «جلاء العيون» للعلاّمة المجلسي.

وقد حدّثني بهذه القصّة السيد جعفر الشيرازي رحمه الله، وربما سمعها بعض المراجع المعاصرين منه أيضاً. أفليس هذا التعامل استثنائياً؟

إذا كان الإمام الحسين سلام الله عليه يرعى خدّامه والخدمات الصغيرة والكبيرة التي تقدّم من أجله إلى هذه الدرجة، فهل من المعقول أن لا يكترث بالصعوبات التي يتحمّلها الذين يقيمون مجالس ومواكب العزاء وينصبون المآتم له؟ أم هل تهمل الأموال والجهود التي تنفق في هذا الطريق وتبقى بلا جواب ومكافأة؟

عندما نشاهد يوم القيامة الأجر الاستثنائي لخدم سيد الشهداء سلام الله عليه فسنتحسّر على عدم تقديم المزيد من الخدمة بل لماذا لم نتسابق في هذا الطريق؟

لنعلم أنّ أيّة خدمة نقدّمها في طريق الإمام الحسين سلام الله عليه مهما صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى، ولها جزاء استثنائيّ. إذن لنشمر عن سواعد الجدّ ونعبّئ كل قوانا وطاقاتنا للخدمة في هذا المجال.

جزاء العطاء في طريق سيد الشهداء سلام الله عليه

نُقل أنّ مجموعة من المؤمنين كانوا يجمعون الأموال لبناء حسينية، وبذلوا من أجل ذلك من اعتبارهم ووجاهتهم وذلك عين العزّة في الدارين، فذهبوا إلى أحد التجار وأخبروه عن مشروعهم في جمع التبرعات لبناء الحسينية. فرحّب بهم وقدّم لهم صكّاً أبيض وقال: اكتبوا ما شئتم.

قالوا: ولكنك الذي ستوقّع الصكّ، ولذلك من الأولى أن تكتب الرقم الذي تودّ المشاركة به أيضاً.

ولكنّه قال لهم: إنّ الأمر لا يختلف بالنسبة إليّ.

ومهما أصرّوا عليه أن يكتب هو لم ينفع، فاضطرّوا للمشاورة فيما بينهم على المبلغ الذي سيكتبونه، فمن جهة كانوا يخشون اعتراضه إن كتبوا مبلغاً كبيراً، ومن جهة أخرى كانت أيديهم مفتوحة فقد خوّلهم بكتابة المبلغ الذي يحتاجونه وأنه سيتعهّد برصده لهم، وكانوا يحبّون أن يكتبوا مبلغاً معتدّاً به يمكّنهم من إنجاز مشروعهم وبناء الحسينية بالكامل.

وفي الآخر اتّفقوا على كتابة مبلغ معيّن وقدّموه لهم ليقرأه ثم يوقّع عليه ـ وكان ذلك التاجر لا يستطيع القراءة من دون نظارة وكانت نظارته أمامه على الطاولة ـ ولكنه عندما قدّموا له الصكّ وقّعه من دون أن يضع نظّارته ويطالع المبلغ، فقالوا له: لو تقع النظارة لتلاحظ الرقم المكتوب. فقال: ما كتبتم كتبتم،

إنني لا أحب أن أضع نظارة للإمام الحسين سلام الله عليه وأدقّق معه.

نقل لي هذه القصّة بعض الأشخاص في كربلاء؛ ولعلّ أيّاً منهم لم يعد اليوم بيننا، وقد دُفن هذا التاجر في الأيوان الجنوبي الشرقي لحرم الإمام الحسين سلام الله عليه، رآه بعض المؤمنين في المنام بعد موته فسأله عن أحواله، فقال في الجواب: لقد أمر الإمام الحسين سلام الله عليه الملائكة أن يتسامحوا وأن لا يدقّقوا معي في الحساب لأني لم استعمل نظارتي وأدقق في ما قدّمته له سلام الله عليه.

محيى محمد وآل محمد سلام الله عليهم

كلّ ما وردنا عن المعصومين سلام الله عليهم فهو من الله تعالى، ولم يأتونا بشيء من عند أنفسهم ما عدا زيارة عاشوراء، فهي حديث قدسيّ، أي أنها وردتنا عن الله

تعالى مباشرة؛ خلافاً لسائر الزيارات التي يزار بها المعصومون سلام الله عليهم. ولقد جاء في هذه الزيارة الشريفة:

«**اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد ومماتي ممات محمد وآل محمد**».

والمحيا والممات في اللغة من المصادر الميمية ومعناهما الحياة والموت. ومن الواضح أنّ الفقرة الثانية من هذا الدعاء مشروطة بالفقرة الأولى ومتوقّفة عليها، فإن حياة كهذه تستتبع موتاً كهذا. ولكن من المناسب ههنا أن نسأل: كيف يمكن أن نحيا حياة محمد وآل محمد ليكون لنا ـ بالطبع ـ ممات كممات محمد وآل محمد؟

ينبغي القول في الإجابة: إنّ بلوغ هذا المقام الرفيع يستلزم السعي والدعاء معاً. فلا بالسعي وحده

يستطيع الإنسان أن يبلغ هذا المقام، من دون توفيق الله تعالى؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ**﴾[1]، ولا بالدعاء وحده ـ من دون السعي ـ يمكن نيل هذه المرتبة السامية؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاّ مَا سَعَى**﴾[2].

وفي قنوت صلاة عيد الفطر أيضاً نقرأ الدعاء التالي:

«**أسألك .. أن تدخلني في كلّ خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد وأن تخرجني من كل سوء أخرجت منه محمداً وآل محمد**»[3].

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٧.

(٢) سورة النجم: الآية ٣٩.

(٣) مفاتيح الجنان للقمي: صلاة عيد الفطر.

ولا شكّ أنّ مشاركة محمد وآل محمد في كل خير، مقام رفيع يتطلّب بالإضافة إلى الدعاء والتضرّع، الهمّة والسعي.

الإخلاص، السعي، والأخلاق

إن الوصول إلى هذا المقام السامي يحتاج إلى الإلتزام بأمور مهمّة ثلاثة وهي: الإخلاص والسعي والأخلاق الحسنة.

فإن للإخلاص في العمل أهميّة فائقة ومهما قلنا فيه فهو قليل. وقد كان الأئمة سلام الله عليهم في كلّ ما يقولون ويفعلون إنّما ينشدون رضا الله تعالى فقط، فعلينا أن نتعلّم ذلك منهم.

وبالإضافة إلى الإخلاص لابدّ من الهمّة والسعي أيضاً. فعندما نطالع ما جرى على سيد الشهداء سلام الله

عليه نلاحظ أنّ محور خطواته سلام الله عليه هو السعي، فقد كان بوسعه سلام الله عليه أن يستفيد من الأسباب والأمور الغيبية، ولكنّه سلام الله عليه لم يفعل.

علماً أنّ الله تعالى أذن له في الاعتماد على المعجزة، ومثُل بين يديه الملائكة والجنّ وعرضوا عليه الخدمة، ولكنّه سلام الله عليه أبى.

وعلينا أن نتعلّم من أهل البيت سلام الله عليهم هذه الخصلة أيضاً؛ خصلة السعي والهمّة.

أتذكر ويتذكّر معي بعض الإخوة العاملين في المكتب كيف أمضى المرحوم الأخ أعلى الله درجاته الساعات الأخيرة من عمره المبارك، حيث حضر في الليلة الأخيرة من عمره بين المؤمنين، وحاضر وتحدّث فيهم، وأجاب على مسائلهم، وتابع مسألة رؤية الهلال حتى ثبتت لديه وأعلنّا عن ذلك، بل

حتى في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وفي الدقائق الأخيرة من عمره عندما دخل إلى البيت كتب عدة أسطر حول السيدة الزهراء سلام الله عليها واستمرّ حتى أسلم الروح.

وهكذا ينبغي أن يكون تلاميذ أهل البيت سلام الله عليهم ولا يتوقّفوا لحظة عن السعي والعمل.

الأمر الثالث الذي ينبغي وضعه نصب أعيننا الالتزام بالأخلاق الإسلامية. فلنصمّم على أن نكون حسني الأخلاق مع أقربائنا وذوينا وجيراننا وكلّ الناس؛ فهكذا كانت حياة المعصومين سلام الله عليهم. فلئن عزمنا على أن نتعامل مع من أساء إلينا ـ فضلاً عمّن أحسن إلينا ـ كتعامل النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين فلا نردّ على من أساء إلينا أو تصرّف معنا بنحو غير لائق إلاّ بالحسنى، وكان محيانا محيى محمد وآل محمد،

فمن الطبيعي أن مماتنا سيكون أيضاً على نهج ممات محمد وآل محمد.

لا تقولوا: ينبغي المقابلة بالمثل؛ بأن نتعامل بالأخلاق الحسنة مع أصحاب الأخلاق الحسنة فقط، لأنّ الأخلاق الحسنة مع سيئي الخلق ستزيد من سوء خلقهم؛ فليس الأمر كذلك، والدليل عليه تعامل المعصومين سلام الله عليهم والذي صار سبباً في هداية الضالّين وتحوّلهم؛ فلو تعامل الأئمة سلام الله عليهم معهم بغلظة لم يهتدوا وبقوا من أهل النار لكان ذلك يبعث على الأسى.

لقد خاطب الإمام الحسين سلام الله عليه معسكر أعدائه بأخلاقٍ كانت السبب وراء عودة بعضهم من الطريق الذي سلكوه، وصاروا من أهل الجنة.

فليلتمس خدم الإمام الحسين سلام الله عليه من الإمام نفسه في أن يوفَّقوا ليكون سلوكهم حسينياً.

أسأل الله تعالى أن يوفّقنا جميعاً للتحلّي بهذه الخصال الثلاثة: الأخلاق والإخلاص والسعي المتواصل. والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

عظمة مصاب الإمام سلام الله عليه ٧

أوّل ناعٍ وقارئ مرثية للإمام الحسين سلام الله عليه ٨

التعامل الاستثنائي لأهل البيت سلام الله عليهم مع قضية كربلاء..... ١٣

عالمية عاشوراء ١٧

بين الحجّ والذهاب إلى كربلاء..... ٢٠

خدّام سيد الشهداء سلام الله عليه والأجر الاستثنائي ٢٥

جزاء العطاء في طريق سيد الشهداء سلام الله عليه ٢٨

محيي محمد وآل محمد سلام الله عليهم ٣٠

الإخلاص، السعي، والأخلاق ٣٣

الفهرس ٣٩